ورقة عمل بعنوان

الواقع الاجتماعي المصري المعاصر بين المواطنة المحمودة والمداهنة الممقوتة

إعداد

أ.د/ عادل محمود مصطفى

أستاذ ورئيس قسم طرق الخدمة الاجتماعية

كلية الخدمة الاجتماعية – جامعة الفيوم

المقدمة:

تعتبر المواطنة قضية معاصرة تمتد جذورها إلى وقت غير قريب وتعبر عن طبيعة العلاقة بين الفرد والدولة التي نعيش فيها وهي أن يحصل المواطن وتقتضي على حقوقه المشروعة وفي المقابل فهو ملتزم بالوفاء بالواجبات اللازمة عليه تجاه هذه الدولة.

وتشير الدراسات المتعددة عن هذا الموضوع إلى أهميته ودوره في تنمية وتعميق الشخصية والنهوض بالفرد وتعني أيضا الشعور بالإنتماء والولاء للوطن والقيادة السياسية التي هي مصدر الإشباع للحاجات الإنسانية الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية وبذلك فهي تشير إلى طبيعة العلاقة مع الأرض والبلد.

كما تعني أيضا القدرة على تحمل المسئولية والمشاركة في عمليات التنمية وتطوير المجتمع من خلال العمل التطوعي في أنشطة الجمعيات الأهلية لتحقيق أهدافها منها :-

١. العدل
٢. المساواة
٣. تعزيز الكرامة الإنسانية
٤. احترام الأفراد
٥. مشاركة الأفراد في إتخاذ القرارات التي تؤثر في حياتهم
٦. تطبيق الديمقراطية
٧. امتلاك المعارف الصحيحة عن المجتمع ومشكلاته وقضاياه
٨. الوعي بالحقوق والواجبات والمسئوليات .
٩. المساهمة في بناء المجتمع وإمتلاك المهارات الأساسية للمشاركة في الحياة السياسية والإجتماعية

وتدور هذه الورقة حول المفاهيم الأساسية بهدف تنمية الذات الإنسانية والمشاركة في تحمل المسئولية الذاتية والجماعية والمجتمعية وتشخيص طبيعة الواقع الخارجى المعاصر .

المفاهيم الأساسية:-

أولاً : مفهوم المواطنة:-

من الصعوبة بمكان صياغة مفهوم بعينه للمواطنة نظراً لتعدد الرؤى العلمية منها :-

أ- في اللغة:-

- لفظ مأخوذ من الوطن وهو محل الحماية والإقامة.
- المواطنة والمواطن مأخوذة في العربية من الوطن: المنزل يقيم فيه وهو موطن الإنسان ومحله " وطن يطن وطنا " أقام به ، وطن البلد: إتخذه موطنا، تطون البلد: إتخذه وطنا وجمع الوطن أوطان [١].
- المصانعة واللين وقيل المراهنة : إظهار خلاف ما يضمر وداهن الرجل إذا نافق .

ب- في الاصطلاحات العلمية :-

هي مكانة أو علاقة إجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة) ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول المواطن الولاء ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق أنظمة الحكم القائمة[٢].

أن يظهر كل من المواطن أو الدولة بصفتها الاعتبارية خلاف ما يبطن غير عابئين بمقتضيات الحقوق والواجبات على النحو المطلوب انتقاصاً [٣].

ج- في علم النفس:-

هي الشعور بالإنتماء والولاء للوطن والقيادة السياسية التي هي مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية وبذلك فهي تشير إلى العلاقة مع الأرض والبلد[٤].

د- في علم السياسة:-

هي صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه إنتماؤه للوطن.

والمواطنة بوصفها مصطلحا معاصرا تعريب للفظة Citizenship التي تعني كما تقول دائرة المعارف البريطانية علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق متبادلة في تلك الدولة متضمنة هذه المواطنة مرتبة من الحرية مع ما يصاحبها من مسئوليات.

وعلى الرغم من الإجماع على أن مفوم المواطنة يبدو مصطلحاً معاصراً وحديثاً إلا أن العديد من الباحثين أرجعوا فكرة المواطنة لعصر الدولة اليونانية مؤكدين على أن المواطنة ليست وليدة هذا العصر ومنذ ذلك الوقت وهي تتطور عمقا بزيادة أكثر إتساعا بمد الحق في التصويت.

فالمواطنة تعبير حقيقي من علاقة الإنسان بهذا الوطن ، وهي قضية إعتبارية خاضعة للتطور والارتقاء والعكس من خلال نوعية طبيعة العلاقة بين هذا الإنسان والأرض أو المجتمع، فلو إفترضنا أن هذا الوطن بدساتيره ومواقفه السياسية أساء إلى الإنسان الذي يعيش على أرضه نجد أن علاقة المواطنة تضعف بطبيعة الحال، فالمواطنة ليست شيئا مقدسا أو مثاليا، فعلاقة المواطنة تقوى إذا أعطى لهذا الإنسان حقوقه وأستجيب لحاجاته الأساسية، فالوطن بهذا المعنى ليس هو الأرض وإنما هو النظام السياسي الذي يعطي لمواطنيه صفة الثبات والإستقرار[٥].

هـ- كما تعرف بأنها:-

العضوية التي يتمتع بها الأفراد في المجتمع وتتضمن القبول والتسليم بتبادل الإهتمامات مع جميع الأفراد والإحساس بالإهتمام المشترك من أجل رفاهية المجتمع، القدرة على العطاء لمزيد من تطوره وإستمراره[٦].

وتعرفها دائرة المعارف البريطانية بأنها[٧]:-

علاقة بين الفرد والدولة يحددها قانون تلك الدولة بما تتضمنه تلك العلاقة من حقوق وواجبات في تلك الدولة وعلاقة الفرد بالدولة هي علاقة بين طرفين شخص طبيعي هو الفرد وكيان معنوي سياسي وهو الدولة وتتضمن تلك العلاقة الأسس التالية:-

- أن يدين الفرد بالولاء ويشعر بالإنتماء إلى الدولة وأن تلتزم الدولة في المقابل بتوفير الحماية والأمن للفرد بموجب عقد إجتماعي أو ديني أو كليهما.

- أن يحدد العقد المبرم أو المتفق عليه عرفيا الحقوق والواجبات المترتبة على الطرفين عملا بمبدأ المساواة أمام القانون وأي إخلال بمبدأ المساواة وسيادة القانون للفرد في علاقته بالدولة أو من يمثلها هو إخلال في ركن أساسي من أركان مبادئ المواطنة.
- تتحقق المواطنة للفرد الكامل الأهلية من خلال مشاركته في الجماعة الوطنية أي أن الفرد المنتمي إلى المجتمع أو الوحدة الإجتماعية أو الجغرافية له كامل الأهلية للتمتع بحقوق المواطنة فأي فرد يحمل جنسية الوطن تفرض عليه واجبات وأيضا يتمتع بالحقوق شأنه شأن كل أفراد المجتمع دون تمييز.
- يعرف المواطن حقوقه وواجباته بواسطة عمليات التنشئة الإجتماعية والسياسية المختلفة وبإدماجه ومشاركته في حياة الجماعة والشأن العام.

من التعريفات السابقة يتضح أن المواطنة تتكون من ثلاثة عناصر وهي:- " ١- حقوق ٢- واجبات ٣- الممارسات العلمية لتنفيذ الحقوق والواجبات ".

مقتضات المواطنة الإيجابية [٨]:-

- المساواة بين فئات المجتمع بغض النظر عن الجنس أو الطائفية.
- المشاركة بكل أبعادها السياسية والإقتصادية والإجتماعية والبيئية والثقافية .
- إحترام رأي الآخر وقبول التنوع والاختلاف في إطار قيم المجتمع .
- المضمون الإجتماعي المتمثل في الحد من تفاوت الدخل والمكانة الإجتماعية والوظيفة أو المهنة .
- تتميز هذه العلاقة بولاء الفرد لمجتمعه وتتمثل في مشاركته للآخرين في العمل من أجل الإرتقاء بالمجتمع وتطوره.
- الفهم بكونها علاقة ثانوية ملزمة بين الفرد والدولة .

ثانياً: تعريف المداهنة:-

فالمداهنة في اللغة

مأخوذة من دَهَن: دهَن المطر الأرض بلّها بلاً يسيراً كالدُّهن الذي يُدهن به الرأس، والإدْهان مثل التّدهين[٩] . وهي وإن كانت تعني في اللغة: المداراة: والملاينة، وتَرك الجِدّ[١٠] ، أو: المصانعة، والملاينة. كما جاء في بعض المعاجم[١١] . فإن الناظر إلى قوله تعالى: (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) [١٢] وإلى طائفة من تعريفاتها الإصطلاحية يتأكد عنده أنها ليست من المداراة في شيء.

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير قوله تعالى(**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**) أي : (ودوا لو ترخص لهم فيرخصون) [١٣]

فالآية تبين توجيه الله – سبحانه – لرسوله صلى الله عليه وسلم وتحذيره له من مصانعة كفار قريش وذلك بالسكوت عن عيب دينهم وآلهتهم، لأن مثل هذا الفعل يناقض المبدأ الأول الذي بعث الرسول – صلى الله عليه وسلم – من أجله وهو الدعوة إلى توحيد الله – سبحانه – وعبادته جاء في تفسير السعدي "إن المشركين طلبوا من النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يسكت عن عيب آلهتهم ودينهم، ويسكتوا عنه، ولهذا قال (**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**) أي توافقهم على بعض ما هم عليه، إما بالقول أو بالفعل أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه، (فيدهنون) ، ولكن إصدع بأمر الله. وأظهر دين الإسلام، فإن تمام إظهاره ، بِنقض ما يضاده، وعَيْبِ ما يناقضه"[١٤]

ولهذا قال الألوسي "لا ينبغي المداراة حيث يُخدش الدين، ويُرتكب المنكر، وتَسيءُ الظنون" [١٥]. وفي هذا المعنى قال – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه" . قال ابن حجر " وإنما كان ذو الوجهين من شرار الناس لأن حاله حال المنافق، إذ هو متملق بالباطل وبالكذب، مدخل للفساد بين الناس، ولأنه يأتي كل طائفة بما يرضيها، فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها. وصنيعه نفاق، ومحضُ كذبٍ وخداع، وتَحيّل على الإطلاع على أسرار الطائفتين وهي مداهنة محرمة.

أما من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فيأتي بكلام فيه صلاح الأخرى، ويعتذر لكل واحدة عن الأخرى، وينقل إليها ما أمكن من الجمل ويستر القبيح فهذا محمود. والمذموم من زين لكل طائفة عملها، ويقبحه عند الأخرى، ويذم كل طائفة عند الأخرى. فهذا من شرار الناس يوم القيامة عند الله. [١٦]

فى الأصطلاحات العلمية:

أما أقوال العلماء في تعريف المداهنة اصطلاحاً فإنها لا تتفق مع ما جاء في بعض معاني المداهنة، أنها تعني ، المداراة والملاينة، فهي أقرب إلى المعنى الوارد في الآية التي مر ذكرها. فمن تعريفاتها الإصطلاحية، الدالة على ذلك:

١- المداهنة: إظهار خلاف ما يُبطن، أو ما يُضمر. [١٧]

٢- المداهنة: كالدّهان الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه[١٨]

٣- هي معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه مع الإنكار عليه[١٩] .

٤- وهي الكفر والكذب والنفاق [٢٠]

٥- وهي ترك الدين لصلاح الدنيا [٢١]

وإذا ما قارنا بين تعريف المداهنة، وتعريف النفاق والخداع نجد تشابهاً كبيراً بينهما. فالنفاق : اسم مأخوذ من (نفقَ) التي تدل على الخروج، فالنفق : سرب في الأرض له مخلص إلى مكان. أو المسلك النافذ الذي يمكن الخروج منه[٢٢] وهو في اللغة من جنس الخداع والمكر وذلك بإظهار الخير وإبطان خِلافه".[٢٣]

بعد هذا العرض لمعنى المداهنة لغة واصطلاحاً يلمح الباحث شيئاً من التوضيح:

١- المداهنة مثل إظهار الإسلام خوفاً ورهبة لحقن الدماء، وسلامة الأموال والأعراض. والثاني: مثل الكذب عند الحديث، وإخلاف الوعود، ونقض المواثيق، وخيانة الأمانات، والفجور عند المخاصمات. ومثل هذا لا ينطبق على المداراة، فالمداري، مسلمُ ظاهرا وباطناً غير آبه مما يحصل له في سبيل هداية الآخرين وجلبهم إلى الإسلام، فتراه ودوداً ، عطوفاً ، حسن اللقيا، حسن العِشرة ، صادقاً في أقواله وأعماله، متعالٍ عن أعراض الدنيا الزائلة صابراً محتسباً لما يلاقيه من الآخرين .. الخ.

٢- المداهنة والنفاق والخداع تقوم على الشكوك والشبهات والضلالات والشهوات، والمعاصي. أما المداراة فتقوم على الإيمان الحقيقي الذي هو مواطأة القلب واللسان معا، لذا فأصحابها بعيدون كل البعد عن الشكوك والشبهات والمعاصي.

٣- في المداهنة والنفاق والخداع، حرص كبير على المصالح الدنيوية فأصحابها إما أن يحصلوا على مرادهم، أو يسلموا لا لهم ولا عليهم. أما المداراة ففيها حرص على المصالح الأخروية وتقديمها على المصالح الدنيوية، وإن أوذوا في سبيل ذلك.

٤- أهداف المداهنين والمنافقين والمخادعين، الإفساد في الأرض بدعوى الإصلاح، وأكبر إفساد ، كفرهم بآيات الله ، وصدهم عن سبيل الله، وموالاتهم أعداء الإسلام المحاربين لله ورسوله. أما المدارون فهدفهم واضح بيّن، وهو الإصلاح في الأرض، وأي إصلاح أعظم من دعوة الغير إلى الإيمان بالله عز وجل، ونبذ الشرك، والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، وكف الأذى عن المسلمين، وصون أموالهم وأعراضهم.

- **ثانياً: جوانب ومقومات المواطنة:**

- **جوانب المواطنة:**

المواطنة مفهوم تاريخي معقد ، له أبعاد عديدة منها ما هو مادي و قانوني ، وثقافي وسلوكي و اجتماعي .... الخ . وبالتالي فإنه يمكن أن نميز تلك الجوانب فيما يلي:

- **الجانب القانوني:** من المؤكد أن المواطنة هي في المقام الأول وضع قانوني ، وهذا الوضع يشمل قبل كل شيء حق التصويت والانتخاب ، لكنه أيضاً مجموعة حقوق وحريات يجب أن يتمتع بها المواطن دون قيود غير التي يفرضها المجتمع ، فالمواطنة قانونياً تعني علاقة الفرد بالدولة كحقيقة جغرافية وسياسية تُحددها وتحكمها النصوص الدستورية والقانونية والتي تحدد وعلى قاعدة المساواة الحقوق المختلفة للأفراد والواجبات التي عليهم تجاه المجتمع والوسائل التي يتم من خلالها التمتع بالحقوق والوفاء بالواجبات . وعادة ما تكون رابطة (الجنسية) معياراً أساسياً لتحديد من هو المواطن وبناءاً عليها تترتب الحقوق والواجبات السياسية ، والمدنية ، والاقتصادية، والاجتماعية.

- **الجانب الاجتماعي:** إن نقطة صفة الفرد بالمواطن هي الانتماء لمجموعة من الأفراد (المواطنين) في رقعة جغرافية محددة ومعترف بها داخلياً وخارجياً ، والانتماء محاولة لتشكيل الهوية ومن ثم الولاء تبعاً لفهم تلك الهوية وكينونتها.

- **الجانب الثقافي – السلوكي:** إن ممارسة مبدأ المواطنة على ارض الواقع مرتبط إلى حد بعيد بالمنظومة الثقافية السائدة داخل المجتمع ، فالعادات والقيم والتقاليد والأعراف الاجتماعية ؛ تعمل على اندماج الذات بالحياة الاجتماعية وفق شروط خاصة تحددها الجماعة وبالتالي تحديد الحقوق والواجبات وممارستها على ارض الواقع.

- **الجانب السياسي:** تبدو المواطنة اليوم اقرب إلى نمط سلوكي مدني والى مشاركة نشطة ويومية في حياة المجتمع أكثر مما هي وضع قانوني مرتبط بمنح الجنسية ، فالمواطن الصالح مشارك في الحياة العامة بكل تفاصيلها ؛ وهذا الوضع يشمل حرية تشكيل الأحزاب ، حق التظاهر السلمي، الاعتصام، والمساهمة في تشكيل النظام السياسي.

ب) مقومات المواطنة:

للمواطنة عناصر ومقومات أساسية ينبغي أن تكتمل حتى تتحقق المواطنة وهذه المكونات هي:

- **الانتماء:**

يُعرف الانتماء بأنه النزعة التي تدفع الفرد للدخول في إطار اجتماعي فكري معين بما يقتضيه هذا من التزام بمعايير وقواعد هذا الإطار وبنصرته والدفاع عنه في مقابل الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى[٢٤] .

وعلى الرغم من أن مفهوم الانتماء الاجتماعي يعاني من التعقيد والغموض، فانه يُعد من أكثر المفاهيم تداولاً في الأدبيات السوسيولوجية والتربوية المعاصرة ، ويميل الباحثون في علم الاجتماع إلى تحديد الانتماء الاجتماعي للفرد وفقاً لمعيارين أساسيين متكاملين هما : ١) **العامل الثقافي الذاتي** : الذي يأخذ صورة الولاء لجماعة معينة أو عقيدة محددة ، ٢) **العامل الموضوعي** : الذي يتمثل في معطيات الواقع الاجتماعي الذي يحيط بالفرد أي الانتماء الفعلي للفرد أو الجماعة ،

فالولاء هو الجانب الذاتي في مسألة الانتماء يعبر عن أقصى حدود المشاركة الوجدانية والشعورية بين الفرد وجماعة الانتماء [٢٥].

- **الحقوق:**

تتضمن مفهوم المواطنة حقوقاً يتمتع بها جميع المواطنين وهي في نفس الوقت واجبات على الدولة والمجتمع ، وبالتالي فان معظم الدساتير في تحديدها لحقوق المواطن ترجع إلى مواثيق حقوق الإنسان وأهمها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨ والتفصيل الوارد في المعهد الدولي الخاص بالحقوق السياسية والمدنية والمعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصادرين عن هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٦٦م ومنها[٢٦]:

- توفير التعليم.
- توفير الخدمات الأساسية وتشمل (السكن النظيف ، الخدمات الصحية ، التأمين والضمان الصحي ، الأمن الاجتماعي ، البيئة النظيفة .... الخ)
- توفير الحياة الحرة الكريمة.
- توفير وضمان العدل والمساواة بين فئات المجتمع.
- الحرية الشخصية وتشمل (حرية التملك ، وحرية العمل ، وحرية الاعتقاد ، وحرية التعبير عن الرأي ، حق الاجتماع والتظاهر السلمي).
- حق الحصول على الجنسية.
- حرية الإنسان وكرامته.
- حق المشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية.

- **الواجبات:**

تختلف الدول عن بعضها العض في تحديد درجة ونوعية الواجبات المترتبة على مواطنيها باختلاف الفلسفة التي تقوم عليها الدولة. ويمكن إيراد بعض واجبات المواطن في مصر[٢٧]:

- احترام النظام السياسي .
- التصدي للشائعات التي تسهم في نثر التفرقة وتأجيج الصراعات السياسية والاجتماعية والمذهبية.
- عدم خيانة الوطن.
- الحفاظ على الممتلكات العامة.
- الدفاع عن الوطن في حال التعرض للغزو والهجوم من الأطراف المعادية.
- التكاتف مع أفراد المجتمع وحمايته ونظمه .
- الإخلاص والدقة في أداء الأعمال الحكومية والمجتمعية التي تهدف لخدمة أفراد المجتمع .

فقد أكد الدستور على أن الملكية العامة لها حرمتها وحمايتها ودعمها واجب على كل مواطن ، وأن الدفاع عن الوطن وأرضه واجب مقدس والتجنيد إجبارى ، وحماية البيئة واجب وطنى والحفاظ على الوحدة الوطنية وصيانة أسرار الدولة واجب على كل مواطن ، وأداء الضرائب والتكاليف العامة من الواجبات [٢٨].

ثالثاً: الإشكاليات الخاصة بالموطنة وتكافؤ الفرص وعدم التمييز :

يثير مبدأ المواطنة العديد من الإشكاليات والموضوعات التى تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتمحيص ومن أمثلة ذلك علاقة مبدأ المواطنة بالمساواة ، وحقوق المرأة وعلاقته أيضاً بمسيرة الديمقراطية فى الدولة ، وسيتم تناول هذه الموضوعات وفقاً لما يلى[٢٩]:

- مبدأ المواطنة والمساواة :تعنى المواطنة المساواة الكاملة فى الحقوق والواجبات بين كل من يحمل الجنسية المصرية بعض النظر عن الجنس أو الأصل أو الدين، وهذا يعنى أن المساواة أحد النتائج المترتبة على مبدأ المواطنة وهى نتيجة طبيعية له.
- المواطنة وحقوق المرأة :إن تفسير مفهوم المواطنة من خلال الميراث الثقافى الذى يعلى من شأن الرجل على حساب المرأة فى أى مجتمع من المجتمعات إستناداً إلى تفسيرات خاطئة أو عادات وتقاليد غير سليمة إنما يحمل فى طياته عدم المساواة بين المرأة والرجل مما يوجب الفهم الصحيح للميراث الثقافى والدينى للمجتمع .

- المواطنة والديمقراطية :المواطنة والديقراطية صنوان لا إنفصال بينهما ، لأن المواطنة ترتب حقوقاً وواجبات لأفراد المجتمع على قدم المساواة دون تمييز وتعد ممارستها أهم ركائز ودعائم الديمقراطية.

رابعاً: شروط المواطنة:

ساعد تطور المواطنة على ظهور العديد من الشروط التى تعد أساساً لإكتمالها فى المجتمع، ومن هذه الشروط[٣٠]:

- اكتمال نمو الدولة: ويعد ذلك بعداً من أهم أبعاد نمو المواطنة، ويستند نمو الدولة بامتلاكها الثقافة التى ترتكز على المشاركة والمساواه، والفهم الصحيح للدولة.
- ارتباط مفهوم المواطنة بوجود الدولة الديمقراطية: والتى تتيح المجال للحريات كما انها تكرس جهودها لأداء حقوق المواطنين، فالديمقراطية تعد الحاضنة الاولى للمواطنة، وإن فعالية المواطنة تتحدد من خلال مدى الوعى المستند إلى إمكانية الحصول على المعلومات من مصادرها المختلفة، بحيث تكون هذه المعلومات قاعده القدرة على تحمل المسئولية والمشاركة.
- يتحدد هذا الشرط من خلال مدى تمتع المواطنين بالحقوق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وذلك من خلال عقد اجتماعى بين الشعب فى المجتمع، ومن الضرورى تلازم الحقوق والواجبات على اساس توزيع الفرص والمساواة بين كافة المواطنين.
- تعد التنشئة الاجتماعية والثقافية إحدى شروط وجود المواطنة، حيث تقوم مؤسسات المجتمع المختلفة فى بلورة الفرد القادر على فهم المواطنة من خلال نظام تربوى وثقافى متكامل.

خامساً: القيم التى تستند عليها المواطنة:

تهدف المواطنة إلى تحقيق الانتماء للمواطن وولائه لموطنه وتفاعله إيجابيًا مع مواطنيه بفعل القدرة على المشاركة المجتمعية وشعور الفرد بالإنصاف، وارتفاع روح الوطنية لديه ودفاعه عن وطنه وقيمه، لذلك المواطنة تشمل دلالات متعددة تمتد للإحساس والشعور وممارسة السلوك النابع من إحساس الفرد ووجدانه، لذلك ترتكز المواطنة على القيم المحورية التالية[٣١]:

- **قيمة المساواة:** وهى تتمثل بالحقوق التى يتمتع بها الفرد من الحق فى التعليم والعمل والمساواة أمام القانون والقضاء، وأن يمتلك الأدوات القانونية اللازمة لمواجهة أى انتهاك لأى من حقوقه
- **قيمة الحرية:** والتى تنعكس فى العديد من الحقوق مثل حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية، وحرية التنقل داخل الوطن، والمشاركة المجتمعية فى حل المشكلات العامة التى تواجه المجتمع، وحرية الاحتجاج حتى لو كان موجة ضد الحكومة، وعقد المؤتمرات والاجتماعات ذات الطابع الاجتماعى والسياسي
- **قيمة المشاركة:** وتتعلق بالعديد من الحقوق مثل الحق فى تنظيم حملات الضغط السلمي على الحكومة أو بعض القرارات السياسية الصادرة عن الحكومة، وممارسة كل أشكال الاحتجاج السلمى مثل التظاهر والتصويت فى الانتخابات العامة، وتأسيس والاشتراك فى الأحزاب السياسية
- **المسؤولية الاجتماعية:** وتتضمن مجموعة من الواجبات مثل الخدمة العسكرية للوطن واحترام القانون، والقيام بالواجبات تجاه الولة مثل دفع الضرائب والمحافظة على الملكية العامة .

فالمواطنة تتعدى حدود شعور الإنسان بأنه فرد فى الوطن لتشمل عمق اتصاله بوطنه والدفاع عن قضاياه الوطنية، والمشاركة فى تطويره، والسعي دائماً للنهوض به، وأن يكون عنصراً فعالاً فى البناء، لذلك يجب أن يتمتع الفرد بمجموعة من الخصائص التى تساعده على إدراك المواطنة وهي[٣٢]:

- **الإقدام والمساواة:** والتى يترتب عليها أن يمارس المواطن حرية التفكير، وحرية التعبير وحرية الحركة والتنقل، وكما يتطلب منه الشجاعة والجراة التى تمكنه من المشاركة فى المسائل العامة، وتقييم أداء من يتقلدون الوظائف العامة.
- **التحضر والكياسة والتسامح:** والتى ترتبط بعمق علاقاته مع أفراد مجتمعه، وما يصدر عنه من قول أو فعل وتعاملات.
- **التضامن والولاء:** وتتمثل فى الإحساس بالانتماء للوطن والمواطنين، والدفاع عن قضايا المجتمع والمساهمة الفعالة فى تطوير المجتمع.

سادساً: المبادئ التى تستند عليها المواطنة:

المواطنة تحمل فى طياتها مشاعر الولاء والانتماء وحب الوطن والأرض، وتتجلى فى الالتزام بالحقوق والواجبات، وتحمل المسؤوليات، واحترام القوانين والمعايير والقيم السائده فى المجتمع، وهناك مجموعة من المبادئ التى ترتكز عليها المواطنة وهى(٣٣):

- **الإحساس بالمسؤولية:** حيث أن المجتمع يمتاز بتعدد مكوناته وهوياته وتعدد الثقافات وتداخلها فى بعض الأحيان واختلاف المعتقد في الأديان، لذلك لابد من الشعور بالهوية الوطنية والتى تعد الضمان وصمام الأمان التى تؤدي إلى الحفاظ على تماسك المجتمع.
- **التمتع بالحقوق التى يمنحها القانون:** فإن تمتع المواطن بالمنافع والحقوق عنصرًا أساسيًا لعضوية الفرد فى المجتمع وإحساسه بكيانه وعضويته للوطن، وإن مشاركة الفرد فى المجتمع دليل على إحساس الفرد فى كيانه وشخصيته ووجوده، ويمكن تصنيفها إلى حقوق قانونية وسياسية، وحقوق مدنية(اقتصادية و اجتماعية).
- **تحمل المسؤوليات والالتزامات:** كما أن للفرد مجموعة من الحقوق التي يتمتع بها داخل المجتمع، فعليه أيضًا مجموعة مسؤوليات والتزامات يجب عليه القيام بها، ويمكن تقسيمها إلى إلزامية مثل: الضرائب، والخدمة العسكرية، والالتزام بالقوانين، وهناك مسؤوليات يقوم بها الفرد طوعًا تتمثل في المشاركة في تحسين الحياة السياسية والمدنية بشكل عام، والمشاركة المجتمعية، واحترام حقوق الآخرين، والدفاع عنها، والتصويت.

سابعاً: العلاقة بين المواطنة والديمقراطية:

العلاقة بين المواطنة والديمقراطية علاقة تلازمية وحتمية وذلك لأن الديمقراطية بحكم التعريف تقوم على أن يشارك المواطن في صنع القانون، وله الحق في مراقبة تنفيذه ومساءلة السلطة التنفيذية إن هي أهملته أو خالفته أو عطلت أحكامه حيث يظهر ذلك من خلال ما يلي :-

- فالعلاقة بين الديمقراطية والمواطنة علاقة توأمة لأية تجارب تنتجها الجماعة السياسية المكونة للدولة على إعتبار كون الديمقراطية تقوم على أساس حق المواطن في التعبير والمشاركة وصنع القرار، وهي في حد ذاتها مقومات المواطنة الفاعلة الصالحة في ظل الإنتماء للدولة الحديثة،

وبات واضحا أن المواطنة الديمقراطية أساس الفاعلية الإجتماعية لأنها توفر شروط النهضة وركائز الفاعلية الإنسانية والوطنية.

- توجد علاقة وطيدة وحتمية بين المواطنة والديمقراطية حيث تمثل أحد دعائم الاستقرار وأن المواطنة بما تتضمنه من حقوق وواجبات تحددها قوانين ودساتير وضعية للمواطن داخل الدولة منها حق المواطن خاصة الشباب في التعبير بحرية عن رأيه وحقه في الإختيار والترشيح للمناصب المختلفة داخل الدولة، وحقه في المشاركة بشتى أنواعها ومستوياتها، مما يتطلب سيادة المناخ الديمقراطي داخل الدولة لكي يتمكن الشاب من ممارسة تلك الحقوق ولكي يتوفر هذا المناخ لابد من توفر آليات وتدابير تتمثل في الإصلاح السياسي الذي يتضمن بدوره الإصلاح الدستوري والتشريعي، وكذلك إصلاح المؤسسات السياسية والإجتماعية ، وإعادة بناء هيكلها وتعديل لوائحها لكي تكون مناسبة لبناء وغرس ثقافة الديمقراطية بين كافة الشباب بالمجتمع ، ومن جانب آخر تتضمن المواطنة الواجبات التي يجب الإلتزام بها وتحمل مسئولياتها من قبل الشباب تجاه المجتمع، والتي تدعم أيضا الديمقراطية من خلال إحترام الشاب للرأي والرأي الآخر ولا يأتي ذلك إلا بغرس ثقافة الديمقراطية وثقافة الاختلاف من خلال المؤسسات المختلفة المعنية بتدعيم القيم والإتجاهات الإيجابية لدى الشباب، والتي من بينها الجمعيات الأهلية حيث أن لها دور جوهري في غرس ثقافة الديمقراطية لدى الشباب من خلال توفير المناخ الديمقراطي داخل الجمعية وإتاحة الفرصة لمشاركة الشباب في إتخاذ القرارات والمشاركة في وضع وتصميم البرامج والمشروعات والأنشطة المختلفة داخلها .

ثامناً: دور منظمات المجتمع المدني في تعزيز مفهوم المواطنة:

إن وجود منظمات المجتمع المدني التي تقوم بدورها بالشكل المطلوب، تسهم في بلورة الفرد المدرك لمفهوم المواطنة والفاعل داخل مجتمعه، وتعزز من حضوره، ومشاركته في تطوير المجتمع، ويتجلى دورها من خلال مجموعة الفاعليات والأنشطة والبرامج، وتقوم بدور مهم أيضاً في بلورة الثقافة المدنية، وذلك وفق مجموعة الآليات وهي[٣٤]:

- **زيادة وعي الفرد عن وطنه وقيمه المتبعه:**

حيث تساهم منظمات المجتمع المدني في زيادة وعي المواطن وأهمية وجوده كمواطن فاعل في سبيل تحقيق التطوير المجتمعي، كما تساعد على تحويل هذه الثقافة إلى واقع ملموس، وأساس ذلك هو إنتماء وارتباط الفرد بوطنه، والعمل على نقله من دائرة الفردية إلى الجماعية، وزيادة إرتباطه بالوطن الذي ينتمي إليه.

- **تنمية الإحساس بالمسؤولية:**

إن تحمل كل فرد داخل المجتمع لمسؤولياته هي التعبير الحقيقي عن إدراك الفرد لمفهوم المواطنة، وذلك على أساس مجموعة من الواجبات التي تقابلها مجموعة من المسؤوليات، ويأتي دور القانون في ضبط هذه العلاقة، وتسهم هذه القيمة في تعزيز مفهوم المواطنة.

- **تعزيز قيم التطوع:**

تعتبر الطوعية الدرجة العليا للمواطنة، وهي نابعة من أساس الحرية في الإختيار، وكما أن هذه القيمة تكون صادقة إذا كانت نابعة عن رغبة ذاتية وليست مفروضة وقسرية من قبل جهات معينة، وتعبر عن مدى ارتباط الفرد بوطنه.

تاسعاً: المواطنة في التصور الإسلامي [٣٥] :

لا ينظر الإسلام إلى المواطنة بمفهوم (إسلامية المسلم في مجتمعه الخاص) على إنها حركة مغلقة ، بل هي حركة منفتحة ، فإقامة المجتمع المسلم المتماسك يستهدف الانفتاح على ما وراءه انفتاحاً إيجابياً ... إلى المجتمعات المسلمة للتوحد معها والمساهمة في حمل همومها ، ... وإلى المجتمعات الأخرى للمساهمة في إعلاء القيم الإنسانية التي تحقق للعالم تعايشاً سلمياً وتفاعلاً حضارياً نافعاً .

إن الإسلام لم يأت ليمنع ما فطر عليه الناس، لكن ليؤكد ذلك المعنى وذلك السلوك، فهو يعترف بعملية الانتماء الاجتماعي للاسرة (ادعوهم لآبائهم) والقبيلة (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) والدولة (وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه) وجعلها أحد مقاصد الحياة الاجتماعية. ونسب القرآن الرجل لبلاده، ولكنه في الوقت ذاته أكد على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أنه "ليس منا من دعا إلى عصبية" أو جاهلية أو قومية وأحداث السيرة مليئة بشواهد كثيرة في هذا

المعنى. والذي يجعل البعض يقف متأملاً والفهم سلباً أما مصطلح الوطنية أو القومية كما يشير الأنصاري (١٩٩٩) إنما هو خطأ المفكرين القوميين بتحويل هذا المفهوم والتعبير عنه بأنه (عقيدة). وفي ذلك تجاوز للحد والوظيفة التي يجب أن يقف عندها دور هذا المفهوم.

وإذا ما أردنا تجاوز الاحتداد بين هذا وذاك بين فكر التضاد والإلغاء بين من يرى أنها وسيلة الوحدة وبين من يرى عدم أهميتها البتة، فإن المنهجية العلمية والموضوعية تستدعي أن نطرح فكراً يتجاوز حدود المصادمات ويؤصل لتشكيل فكر ناضج وواعٍ ومؤصل ومستوعب لحجم التحديات الذي يشهدها عالمنا العربي الإسلامي اليوم.

إن من الأهمية بمكان القول بأن مفاهيم الإلغاء والإقصاء والتنكر دائماً ما تخالف طبيعة الحياة وبالتالي يصعب عليها إكمال مسيرتها.. فالاعتراف بوجود الأشياء وما يضادها بغض النظر عن قبولها أو رفضها هو سنة حياتية جارية، هذا فضلاً عن قدرتنا ومهارتنا الفكرية والذهنية على التأليف والتوظيف الأمثل للدور المناسب والأكمل لكل فيما يخصه. وذلك أن كل إلغاء للآخر هو مسلك مجاف لطبيعة الحياة. ولذلك فالأصل هو استهداف الحكمة المشروعة في التعامل مع الأفكار والأشخاص والمفاهيم والمقتنيات. ومن هنا نؤكد بأن إقصاء "البعد الإسلامي" من أجل الوطنية جزئياً أو إجمالاً كمنهج توحيد وطني لا يتناسب وسيادة التشريع الإسلامي ومرجعيته في البلد المسلم، وبالمثل فإن نفي "البعد الوطني" وأهميته في احترام خصوصيات الشعوب والأفراد وفي انتماء الإنسان وحبه لوطنه وسعيه لنهضته وتنميته والدفاع عنه خلل مهين .

والوحدة المطلوب تبنيها على مستوى العقيدة غير تلك المطلوبة على مستوى الوطن فالأولى أرقى وأسمى من أن تحدها الحدود والأخرى بطبيعتها ووظيفتها لها حدود.

أي بعبارة أخرى أن الإسلام لا يتعارض مع اعتماد المواطنة باعتبارها بناء للجماعة السياسية، بل لا نجد مشكلة قيمية معرفية حقيقية بين مبدأ الأخوة الدينية، ، فالإخوة هنا رابطة معنوية متحررة عن الزمان والمكان، أما المواطنة فهي رابطة للتعايش المشترك بين أفراد يعيشون في زمان معين ومكان ضمن وحدة سياسية تسمى الدولة.

وعموماً، إن قلنا بوجود مشكلة في قبول المواطنة على أرضية إسلامية فهي ناتجة عن فهم خاطئ بين العقيدة والمشروع، فالعديد من الإسلاميين السياسيين لا يميزون بين لوازم العقيدة ولوازم المشروع السياسي المرتبط بالواقع المتحرك والمتغير والمتعدد، ولعل في طليعة تلكم اللوازم: أن المشروع السياسي المراد إنجازه لا يتم من خلال حمل الواقع كقالب جامد على أساس العقيدة المنجزة دون النظر إلى حركية الواقع وتعقيداته وتحولاته، ولا يمكن حمل الواقع دفعياً إذا ما كان مغايراً لخصائص العقيدة، كما إنه سوف لا يصدق على الواقع الخارجي المراد إحداث التغيير فيه، فإشكالية المشروع السياسي تكمن في إيجاد روابط معنوية ومادية قادرة على التعامل مع الواقع كما هو مع محاولة ترشيده على أساس العقيدة أو الإيمان الإيديولوجي[٣٦].

وقد يكون التخوف آتياً من اللفظ الذي ارتبطت به هذه القضايا وهي لفظ (المواطنة) حذراً من تصور الوطن نفسه مصدر تلك الحقوق والواجبات، أما مصدرها فهو شيء آخر، فلسفة، أو دين، يعيشه أفراد ذلك المجتمع، فالمواطنة في الغرب ترتد إلى الفلسفة الليبرالية التي يمثل فيها الفرد وحدة مستقلة، لحقوقها الاعتبار الأعلى وأهمها الحرية التي ينبغي أن تصان ما لم تكن خطراً على حريات الآخرين، وعلى هذا تقوم النظم الديمقراطية، أما في الإسلام فمصدر الواجبات والحقوق المتبادلة في المجتمع المسلم هو الإسلام بما وضعه من قيم خلقية، وأحكام تعاملية بين الأفراد أو بين الحاكم والمحكوم[٣٧].

أما تصور أن المواطنة تعني إقامة نمط من العلاقات الخاصة في وطن محدد يؤدي إلى انعزاله عن أمته الإسلامية وهمومها فهذا غير صحيح، إذ إن الموجهات الإسلامية التوسعية أسرة فعشيرة فمجتمع فأمة تمنع هذا، بل أكثر من ذلك تجعل واجبات وحقوق الدائرة الأدنى صاعدة بالناس نحو ما فوقها من دوائر، والتكامل البنائي الإسلامي في مجتمعين من مجتمعات المسلمين يؤدي تلقائياً إلى تماثلهما ومن ثم تقاربهما وتوحدهما في المسار الحضاري، وهذه أوربا بقومياتها الوطنية الضيقة استطاعت أن تذيب ما بينها من خلافات وأن تتوحد شيئاً فشيئاً.

عاشراً: بنية المواطنة بين التصور الأسلامى والواقع الأجتماعى المعاصر:

في أي وطن، تتمثل العناصر الكبرى التي تتبادل الحقوق والواجبات، وتقوم بينها المواطنة في أثنين: أولاً: "الشعب" . ثانياً: " الدولة" .

المطلب الأول: المواطنة بين أفراد الشعب[٣٨]:

مدنية الإنسان، أي ارتباطه بالناس الآخرين بعلاقات تبادلية، تتجاوز صورتها الفطرية لتصبح ضرورة حياتية بل وجودية بالنسبة لهذا الإنسان، لهذا نجد أن أشد المذاهب مغالاة في فردية الإنسان تعترف بضرورة وجود قيم تنظم علاقات هؤلاء الأفراد فيما بينهم حتى تحتفظ فردياتهم بأعلى قدر من التحقق.

والإسلام يجعل العلاقات التي ينظمها في المجتمع وغيره مع حسن علاقة المسلم بربه، والوفاء بعهده في سبيل سعادة الإنسانية، وبالمقابل يجعل إهدار الحقوق المرتبة على تلك العلاقات مع الإفساد في الأرض ونقص ميثاق الله سبباً في استحقاقاتهم مقت الله وسبيلاً للشقاء الأبدي.

لقوله تعالى[٣٩]: ((والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سواء الدار).

وتتمثل الحقوق والواجبات المتبادلة على المستوى الشعبي بين أفراد وجماعات الشعب بحسب الصفة التي يأخذها شخص تجاه الآخر، فهناك حقوق بين الوالدين وأولادهم وحقوق بين الزوجين، وحقوق بين الأرحام، وحقوق بين الجيران... الخ.

وعلى هذا نقول: إن من المهم للارتقاء بالعلاقات بين الأفراد الذين يجمعهم مجتمع مسلم إلى المستوى الإنساني، المحقق للسعادة، أن تتجلى فيها الأخلاق التي شرعها دين الإسلام بين المؤمنين عموماً، ومنها الأخلاق التالية:

- الولاء الذي ينعقد برابطة الإيمان بين المؤمنين وغيرهم ، وهو الذي على أساسه تتشكل البنية العضوية المتماسكة للمجتمع المسلم، وبالتالي للأمة الإسلامية، وبضعفه تفسد حال الأمة، ويندثر وجودها الحضاري. ولهذا قال سبحانه وتعالى [٤٠] (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير).

- الألفة والتواد والتعاطف، حيث تسود العلاقات بينهم روح تقارب نفسي وعملي إيجابي يشد بعضهم إلى بعض شداً إيماناً إنسانياً حقيقياً، لا مصلحياً أو مظهرياً فقط، وقد أوضح ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم في تشبيه بليغ، في قوله عليه الصلاة والسلام: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر).
- النصيحة، وهي كلمة جامعة تقتضي السعي بكل ما فيه مصلحة للمنصوح له، وليست مقصورة على الإرشاد نحو أداء عبادة متروكة، أو ترك منكر مقترف.

وقد كان من عناصر المبايعة التي بايع الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم عليها: (النصح لكل مسلم) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، والمسلم أخو المسلم، لا يخذله ولا يكذبه، ولا يظلمه وأن أحدكم مرآة أخيه، فإن رأى به أذى فليمطه عنه).

ومن صور النصح فيما بين المسلمين: (إرشادهم لمصالحهم في دنياهم وأخراهم، وكف الأذى عنهم، وستر عوراتهم، ودفع زلاتهم، وإبعاد المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم...)

- الإصلاح بين الناس، وإزالة أسباب الفرقة والنزاع والشقاق بينهم، والمبادرة إلى احتواء التنافر والخصام إذا حدث، ومنعه من أن يتطور، وقد جعل الإسلام خصلة الإصلاح من أفضل الأعمال، فالله يقول في كتابه [٤١]. ((لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً)).
- النصرة: فمن حق المسلم على أخيه المسلم أن ينصره بما يستطيع من قدرات وإمكانات، والنصر شامل للجوانب المادية والمعنوية، فكما يجب عليه نصره عندما يظلم في أمر مادي، يجب عليه أن ينصره إذا وقع عليه ظلم أدبي، كالغيبة والنميمة، وتشويه السمعة ونحوها.

- والنصر للمسلم مطلوب من أخيه على أية حال، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قال رجل: أنصره إذا كان مظلوماً، فكيف أنصره إذا كان ظالماً؟ قال: تحجزه وتمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره).
- وكذلك الآداب العملية التي تقتضيها حركة الحياة اليومية بين الناس، مثل: آداب التعامل المالي، وآداب الصحبة، وآداب الشارع والبيوت، كالاستئذان للدخول، وعدم التلصص عليها، وستر ما يراه مما يضر إشاعته بأخيه، واحترام الكبير، والعطف على الصغير.

ثم إن القيم الخلقية التي شرعها الإسلام لتكون قواعد موجهة وضابطة للحياة الإسلامية تتمثل بصورتها المباشرة في ضبط العلاقات بين أفراد المجتمع سواء كانت من المطلوبات كالصدق والعدل والحياء والإحسان، والتعاون على البر والتقوى، والإكرام، والنصيحة أو كانت من القيم المنهي عنها كالغش والغل والتعدي على حقوق الآخرين والتكبر على الناس، والاتهامات الباطلة، والتلصص على العورات.. ونحوها مما جاء النهي عنه في الشريعة.

وهي قيم باستطاعتها لو استطاع النظام التربوي غرسها في نفوس الناشئة وبناء شخصياتهم عليها أن توجد مجتمعاً تتلألأ إنسانيته في أعلى درجاتها، ويتناغم أفراده نفسياً وفكرياً وحركياً بأرقى صور الكمالات البشرية.

المطلب الثاني: المواطن والدولة[٤٢]

الحقوق المتبادلة بين الشعب من جهة والدولة من جهة أخرى هي مدار ما يسمى الآن بـ (المواطنة) من حيث هي حقوق متبادلة بين الطرفين.

وفي هذا الإطار ورد إنكار بعضهم –كما سبق– لهذه الحقوق في الإسلام لعدم وجود لفظ (مواطن) بمعنى شخص يشارك في شؤون وطنه، بل يوجد لفظ يعطي المعنى المقابل –كما يتصور بعض هؤلاء– وهو لفظ (رعية) الذي يطلق أساساً على الماشية التي يوجهها الراعي كيفما يريد.

إن لفظ (الرعية) في الصيغ الشرعية تتضمن معنى حق المرعي على الراعي بالعدل والقيام بالحق وإيفائه حقوقه التي شرعها الإسلام له، فالنص الشرعي وهو نص ديني عماده التوجيه الخلقي قبل التشريع القانوني يوجه الراعي أن يتحمل مسؤولية إقامة حقوق الرعية تديناً لله وطلباً لرضوانه،

ولنتأمل حديث المسؤوليات الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته).

ولأن المسلمين فهموا مثل هذا النص في مدلوله الديني العام لم ترد عندهم تلك الصورة البشعة التي تمنح الراعي التلاعب بمصائر رعيته كما الراعي بأغنامه، إن الذي فهموه عكس ذلك تماماً لقد فهموا أنه دليل على عظم حقوق الرعية وخطورة مسؤولية من تهيأ له إمساك زمام الحكم عليها بل فهموا منه أن الراعي ليس هو الأصل بل الرعية، وأن الراعي مجرد وسيلة لإقامة حقوق هذه الرعية، ومن ذلك ما قاله أحد العلماء: (الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما اؤتمن على حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه).

والحقيقة أن القيمة ليست في المصطلحات بذاتها وإنما في المضامين التي تحملها ثم في تجليها في الواقع العملي في الحياة.

حقوق الشعب (المواطنين) على الدولة[٤٣]:

من أبرز هذه الحقوق:

- أن يكون الحكم وفق المنهج الذي يرتضيه الشعب وهو بالنسبة للمجتمع المسلم تطبيق شريعة الله والحكم بما أنزل في وحيه.
- النصح لجميع أفراد الرعية، وعدم غشهم بأي صورة من صور الغش الثقافي أو الاجتماعي جاء في الحديث الشريف (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة). فمن حقوق المواطن على الدولة، الصدق وعدم الغش فيما تقوم به من أعمال فقوله صلى الله عليه وسلم (من غشنا فليس منا) تدخل فيه السلطة (الدولة) كما يدخل فيه الأفراد، بل إنها تدخل في حديث (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشتقق عليه) فهذا الحديث يتجه بشكل مباشر إلى ولاية الحكم.
- تحقيق القيم الإسلامية كالعدل والمساواة من خلال أنظمة شاملة لجميع المواطنين.

- تحمل المسؤولية أمام أعداء الوطن.
- تهيئة الفرص لأفراد الشعب للقيام المعاشي والمعادي.

أما حقوق الدولة على المواطنين فمن أهم ما تتمثل به:

البيعة أو الانتخاب: وهي تمثل تعاهداً بين المواطنين وحاكمهم على أن يحكم فيهم بالشريعة وأن يقيم الحق والعدل، على أن يكونوا أوفياء للنظام مغلبين المصلحة العامة التي تتبناها الدولة على المصالح الجزئية الذاتية، والبيعة أو الانتخاب بالتالي ليس مجرد توافق يتم وينسى، إن المطلوب شرعاً أن تظل ملازمة شعورياً ومن ثم حركياً للمواطن في كل أحواله:

- الولاء للدولة بحسبانه ولاء للإسلام الذي تتبناه الدولة تطبيقاً ودعوة.
- الالتزام بتطبيق نصوص الدستور والقانون والقرارت والتوجيهات التي تصدرها المؤسسات الحكومية.
- الإخلاص في العمل للدولة سواء من خلال مؤسساتها أو مؤسسات المجتمع المدني.
- الإسهام في بناء وتنمية الوطن.
- النصح والسعي للإصلاح بالطرق السليمة التي لا تهز استقرار الوطن ودولته.
- الدفاع عن الوطن ضد أعدائه.
- التمثيل الجيد للدولة والمجتمع خارج حدوده.
- دفع الضرائب والرسوم من خلال الخمس والزكاة وغيرها من الوسائل التي أوجبها الشرع.

الخلاصة

في إطار الطرح المتقدم للمطلبين الأول (المواطنة بين أفراد الشعب) والثاني (المواطنة في حق الدولة) يمكن فهم التصور لطبيعة الواقع بأنه على قدر الالتزام بالحقوق والواجبات على قدر مستوى المواطنة الحقة الواجب مراعاتها والقيام بمهامها ومسؤلياتها وعلى عكس ذلك تكون المداهنة والهروب من الالتزام بالحقوق والمسئوليات والواقع المصري أحوج ما يكون أي الالتزام الحق

بمفهوم المواطنة الحقة النابعة بين تسليم الفرد كل من موقعه بأهميتها وكونها ضرورة ملحة للنهوض بالأفراد والجماعات والمجتمع .

المراجع المستخدمة

١. إبن منظور: لسان العرب، دار المعارف، بيروت، مادة (و ط ن)، د.ت.

٢. محمد غيث: قاموس علم الإجتماع، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص٥٦.

٣. إبن منظور: لسان العرب، ج٢، دار المعارف ، القاهرة، د. ن ، ص ١٤٤٧.

٤. عصام عبد الله: المواطنة، مركز ماعت للدراسات القانونية والدستورية، الجيزة، د.ن، ص٥٠.

٥. عصام عبد الله: المواطنة، المرجع السابق ، ص٧٨.

6. Cathrin Carnbleth: Citizenship education in Encyclopedia of Education Research, 5th, 1992, P.5.

٧. سلسلة دراسة المرأة العربية في التنمية: النوع الإجتماعي والمواطنة، الأمم المتحدة، ٢٠٠٣، ص٤-٥.

٨. جورج القصيفي: المفهوم المعاصر للمواطنة في المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤، ص٤٥.

٩. الأصفهاني (الراغب): المفردات في غريب القرآن / ص ٣٢، تحقيق صفوان عدنان ط١ ، الدار الشافعية – بيروت– ١٩٩٢م.

١٠. المرجع السابق / ص ٣٢٠.

١١. إبن منظور : لسان العرب ١٠٢٩/١ . الفيروز أبادي: القاموس المحيط / ١٥٤٦

١٢. من سورة القلم ، الآية : (٩)

١٣. الطبري (محمد بن جرير) : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ٢١/٢٩، نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

١٤. السعدي (عبدالرحمن بن ناصر) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / ص ٨٧٩ ، ط ٣ – اعتنى به تحقيقاً ومقابلة د/ عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٥. الألوسي : روح المعاني ١٢٢/٣

١٦. ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤٧٤/١٠ ، كتاب الأدب (باب ما قبل في ذي الوجهين).

١٧. ابن منظور: لسان العرب ١٠٢٩/١، الفيروز أبادي: القاموس المحيط/ ص ١٥٤٦

١٨. ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥٢٨/١٠

١٩. ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥٢٨/١٠

٢٠. ابن منظور: لسان العرب ١٠٢٩/١، الفيروزأبادي : القاموس المحيط / ص ١٥٤٦

٢١. ابن حجر: فتح الباري ٤٥٤/١٠

٢٢. ابن منظور: لسان العرب ٦٩٤/٣، الفيروز أبادي : القاموس المحيط / ص ١١٩٦، ابن فارس (أحمد) معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبدالسلام هارون / ص ٤٥٤ ط١ ، دار الجيل . بيروت – القاهرة ١٩٩٦م

٢٣. ابن رجب الحنبلي : (عبدالرحمن بن علي). جامع العلوم والحكم/ ص ٣٧٥ ، دار المعرفة ، بيروت.

٢٤. نجلاء عبد الحميد راتب: الانتماء الاجتماعي للشباب المصري دراسة سوسيولوجية في حقبة الانفتاح (القاهرة، مركز المحروسة للنشر، ١٩٩٩) ص ٥٧.

٢٥. علي اسعد وطفة: نسق الانتماء الاجتماعي وأولوياته في المجتمع الكويتي المعاصر : مقاربة سوسيولوجية في جدل الانتماءات الاجتماعية واتجاهاتها (الكويت، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، مجلس النشر العلمي، العدد ١٠٨، ٢٠٠٣) ص١٣٣.

٢٦. سامح فوزي: المواطنة (مرجع سبق ذكره) ص٦٠.

٢٧. خالد مصطفى على فهمي: حول مفهوم المواطنة وحقوق الإنسان (القاهرة، د.ن، د.ط، ٢٠٠٨) ص ٧.

٢٨. أحمد جاد منصور: المواطنة وتكافؤ الفرص وعدم التمييز (القاهرة، أكاديمية الشرطة، د.ط، ٢٠٠٦) ص ٢٧: ٣٠.

٢٩. على ليلة:المجتمع المدنى العربى – قضايا المواطنة وحقوق الانسان(القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧) ص ص٨٩:٩١.

٣٠. نسرين عبد الحميد نبيه: مبدأ المواطنة بين الجدل والتطبيق(الأسكندرية، مركز الأسكندرية للكتاب، ٢٠٠٨) ص ص١٤:١٥.

٣١. وسام صقر: الثقافة السياسية وانعكاساتها على مفهوم المواطنة لدى الشباب الجامعى فى قطاع غزة(رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الازهر – غزة، ٢٠١٠) ص ص ١٠٤:١٠٥.

٣٢. وسام صقر: الثقافة السياسية وانعكاساتها على مفهوم المواطنة لدى الشباب الجامعى فى قطاع غزة، مرجع سبق ذكره، ص ص ١١٢،١١٤.

٣٣. رياض المالكي: تفعيل مؤسسات المجتمع المدني الفلسطيني نحو المواطنة والمسؤلية والاصلاح (فلسطين، المركز الفلسطيني لتعميم الديمقراطية وتنمية المجتمع، ط١، ٢٠٠٧) ص٤٢.

٣٤. علي خليفة الكواري: مفهوم المواطنة في الدول القومية (مجلة المستقبل العربي ، العدد الثاني ، ٢٠٠١) ص ٣٠٨ : ٣١٠ .

٣٥. عبد الرحمن بن زيد الزنيدي: فلسفة المواطنة في المجتمع السعودي (بحث مقدم للقاء مقدم للقاء قادة العمل التربوي في السعودية، الموقع:

http://www.imamu.edu.sa/naief-chair/Documents

٣٦. علي خليفة الكواري: مفهوم المواطنة في الدولة القومية (مرجع سبق ذكره)ص٣٢٥.

٣٧. فهد إبراهيم الحبيب: الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة (دراسة منشورة في موقع آفاق للدراسات والبحوث، التاريخ ٢٠٠٩/٢/١٩، الموقع:

http://www.aafaqcenter.com/index.php?=com-content&task=view&id=168&Itemid=392

٣٨. القران الكريم:**سورة الرعد** ،أية١٨:٢٥

٣٩. القران الكريم :**سورة الأنفال**،أية٧٣

٤٠. القران الكريم:**سورة النساء**،أية ١١٤

٤١. كريم شغيدل: **أسس المواطنة وصور الالتباس** (مجلة الإسلام والديمقراطية، منظمة الإسلام والديمقراطية، بغداد، العدد العاشر، شباط ٢٠٠٥) ص٢٢٨:٢٢٠.

٤٢. محمد سليم العوا: **فكرة المواطنة وتطورها** (دراسة منشورة في الموقع الالكتروني لحزب الوسط الجديد، التاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٩٩، الموقع:

http://www.alwsatparty.com/modules.php?file=article&name=News&sid=607

٤٣. محمد عمارة: **حقوق المواطنة في الإسلام** (مقالة منشورة في منتدى الشروق الإسلامي، على الشبكة الدولية للمعلومات، التاريخ ٢٠٠٩/٢/٢٢، الموقع:

.http://www.alshorok.net/vb3/showthread.php?t=9590